بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الجمعة، بعنوان:

لماذا يتعاظم التراحم أكثر وأكثر في عصر الذكاء الاصطناعي؟

فتَرَاحَمُوا (١)

التراحم بين الزوجين نواة المجتمع الصالح

ما النجاح الحقيقي؟ وكيف نحققه في محاوره الأربعة؟

بقلم الدكتور/ أحمد علي سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

الجمعة: ٢٥ ذي القعدة ١٤٤٦هـ / ٢٣ مايو ٢٠٢٥م

الحمد لله رب العالمين.. الرحمن الرحيم، الذي وسعت رحمتُه كلَّ شيء، وجعل التراحمَ بين الناس صِلةً مِن صلات الإيمان...

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كتَبَ على نفسه الرحمة، وجعلها مئة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين، وأنزل في الأرض جزءًا واحدًا، به يتراحم الخلائق.

وأشهد أن سيدنا محمدًا (ﷺ) عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، قال تعالى في شأنه: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (الأنبياء: ١٠٧) ، فاللهم صلّ وسلِّم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أيها المسلمون: أوصيكم ونفسي المقصرة بتقوى الله، فإنها وصيه الله للأولين والآخرين، قال تعالى: (...وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ...) (النساء: ١٣١)، وقال عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢).

(١) هذه الخطبة كُتبت بشكل تجديدي وإثرائي؛ للإسهام في زيادة وعي السادة العلماء والخطباء، في إطار تحقيق أهداف خطبة الجمعة التي حددتها وزارة الأوقاف وللسادة الأئمة والدعاة الاطلاع عليها ودراستها، واختيار ما يناسبهم منها..والله ولي التوفيق.

أما بعد،،،

أيها الأحبة الكرام، موضوعنا اليوم حول قضية مهمة جد مهمة، بها تستقر البيوت وتنمو الحياة، موضوعنا يدور حول التراحم بين الزوجين: فَتَرَاحَمُوا... ذلك لأن التراحم بين الزوجين هو نواة المجتمع الصالح..

مكانة الرحمة في الإسلام:

الرحمة في اللغة: من رَحِمه يرحمُه، رحمةً ومرحمةً، إذا رقَّ له، وتعطّف عليه، وأصل هذه المادة يدلُّ على الرقةِ والعطفِ والرأفة، وتراحمْ القوم: أي رحم بعضُهم بعضًا. ومنها الرَّحِم: وهى عَلاقة القرابة بين الناس.

والرَّحْمَة في الاصطلاح هى: رقَّة تقتضى الإحسانَ إلى الْمَرْحُومِ،، وقيل هى رقَّةٌ في النفس تبعثُ على سوق الخير للآخرين.

وقيل إن الفرق بين (الرحمة والرأفة) أن الرَّحْمَةَ هى إيصال المسرات، والرَّأفةُ هى دفع المضرات، فالرَّحْمَة إذًا من باب التزكية، والرَّأفة من باب التَّخلية، قال تعالى في شأن نبيه سيدنا محمد (ﷺ): (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ . فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) (التوبة: ١٢٨-١٢٩) .

- **ولقد سمى الله تبارك وتعالى نفسه** (الرَّحْمَن الرَّحِيم) وهما اسمان متكرران كثيرًا في دنيا الناس، ومشتملان على صفة الرَّحْمَة.
- **وجعل الله هذه الصفة لصفوة خلقه**، وخِيرةِ عباده، وهم الأنبياء والمرسلون، ومَن سار على نهجهم من المصلحين، لذلك قال الله (تعالى) ممتنًا على رسوله (صلى الله عليه وسلم) (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ...) (آل عمران: ١٥٩) .
- **وقد امتدح الله المتَّصفين بالرحمة والمتخلِّقين بها**. يقول السعدي (رحمه الله) في تفسيره للآية ٥٦ من سورة الأعراف: (إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ) في عبادة الله، المحسنين إلى عباد الله، فكلما كان العبد أكثر إحسانا كان أقرب إلى رحمة ربه، وكان ربه قريبا منه برحمته، وفي هذا من الحث على الإحسان ما لا يخفى أهـ.

أما مَن كان بعيدًا عن الإحسان بالخلق، ظلومًا غشومًا شقيًّا، فهذا لا ينبغى له أن يطمع في رحمة الله وهو متلبس بظلم عباده.

أول ما يلفت الأنظار في كتاب الله صفتا: (الرحمن الرحيم):

إن أول ما يلفت الأنظار في كتاب الله (تعالى) أن كل السور فيه –باستثناء سورة التوبة– قد صُدِّرت بالبسملة، وأُلحِق بالبسملة صفتا الرحمن الرحيم، ولا يخفى على أحد أن تصدير كل السور بهاتين الصفتين أمرٌ له دلالته الواضحة على أهمية الرحمة في التشريع الإسلامى.

افتُتِحت سورة الفاتحة، بالبسملة –وفيها صفتا الرحمن الرحيم– كبقية السور، ثم نجد فيها صفتى الرحمن الرحيم قد تكرَّرَتا في السورة ذاتها، وهذا التصدير للقرآن الكريم بهذه السورة بالذات له دلالته الواضحة أيضًا، فسورة الفاتحة يجب على المسلم أن يقرأها في كل ركعة من ركعات صلاته في كل يوم، ومعنى ذلك أن المسلم يُرَدِّدُ لفظ الرحمن مرتين على الأقل، ويُرَدِّدُ أيضًا لفظ الرحيم مرتين على الأقل في كل ركعة من ركعات الصلاة؛ ليتذكَّر فيها العبد رحمة الله تعالى، وهذا يعنى ترديد صفة الرحمة في كل يوم (٦٨) مرة من خلال (١٧) ركعة تُمَثِّل الفروض التي على المسلم؛ –فضلا عن السنن والنوافل– مما يُعْطِي تصوُّرًا جليلا لمدى الاحتفال بهذه الصفة الجليلة وهي

صفة الرحمة [٢] . وبذلك تعيش الرحمة في كينونة المسلم، وتتحرك معه حيث كان، في حله وترحله وفي كل أوقات حياته [٣].

أيها المسلمون في كل مكان:

من هنا، من التراحم بين الزوجين:

- تُستدام الرحمة،
- وتدوم الألفة،
- ويتوارث الناس أخلاق الإسلام جيلاً بعد جيل.

إن الرحمة، والمرحمة، والتراحم، حين يرى الطفل آثارها في بيته، ويعيش في كنفها، ويشبّ عليها، تتغلغل في كينونته، ويتغذى عقله، وقلبه، ونفسه، وروحه على معينها العذب، فينشأ مفعمًا [٤] بالرحمة والرفق واللين في بيته، وفي عمله، وفي الطريق، وفي النادي، وفي المسجد، وفي كل مكان يحلّ فيه... وتصير منهاجا لحياته... وحقيقٌ بهذه الرحمة أن تصير منهاجًا لحياته، تُهذِّب سلوكه، وتسمو بمشاعره، وترتقي بتعامله مع من حوله... فإذا به يُعلِّمها بسلوكه للقلوب التي اصطفاها الله، فتعشعش الرحمة في جنبات المجتمع، وتغدو خُلقًا عامًّا، ونسقًا مشتركًا، وسبيلاً إلى مجتمع صالح، متماسك، ترفرف عليه السكينة والمودة والرحمة على الدوام.

توجيه نبوي كريم:

عن عبدِ اللهِ بن عمرو بن العاص (رضى اللهُ عنهما) أنَّ رسولَ اللهِ (ﷺ) قال: (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ...) [٥].

هذا الحديثُ يفيضُ عطفًا، وبِرًّا، وحنانًا، ورحمة من قلب الرسولِ الكريم، على كلّ مَن يتلقَّى وصاياهُ الحكيمةَ ونصائحَهُ الغاليةَ بالقبولِ الحسنِ..

فسيدنا محمد (ﷺ) رسولٌ حكيمٌ رؤوفٌ رحيم، قد تفجَّرت من قلبهِ الزكيّ السليم ينابيعُ الرحمةِ، فسالت أوديةٌ بقدرها في قلوبِ المؤمنين المخلصين، فعاشوا بها يتراحمون فيما بينهم تحت مظلَّة الإيمانِ، متآخين متحابين، يجتمعون على حبّ اللهِ –تبارك وتعالى– ويتفرَّقون عليه، فكانوا مثلًا لا مثيلَ لهُ في تطبيق الشريعةِ السمحةِ التي جاءَ بها هذا الرسولُ الكريمُ، حتى بدا للناس أنَّهم نجومُ الهدى، ومصابيحُ الإسلامِ لكلّ من أرادَ الهدى ورغبَ في الإسلام.

إنَّ رسولَ اللهِ هو المثلُ الأعلى في جميع المُثل العليا، قد تجسدت فيه كلُّ آياتِ النُّبل والخُلُق الرفيع، والدين. فكان أُسوةً لأصحابِهِ ولمن تبعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

والرحمةُ هي الأصلُ الأصيلُ لهذا الدين الحنيف، وهي كلمةٌ واسعةُ الدلالةِ لا تقتصرُ على رقَّةِ القلب ولينِ الجانب فقط، وإنما تعدلُ سُلوكًا وعدلًا، وتحملُ في طيَّاتها كلَّ خير.

(الرَّاحِمُونَ): وصفٌ للموصوفِ من رجالٍ ونساءٍ تأصَّل في موصوفِهِ بحيثُ صارَ عَلَمًا عليه، فإذا قيل: قالَ الراحمُ، أو ذهبَ الراحمُ، عُرف أنَّه فلانٌ؛ لأنَّه لاشتهارِهِ بالرحمةِ أصبحتِ الرحمةُ له كالاسم الذي سمَّاهُ به أبوهُ وأمُّهُ.

---

(٢) https://www.islamweb.net/ar/article

مجتمع الرحمة

(٣) راجع حلقة برنامج الإسلام والإحياة في إذاعة القرآن الكريم، عن: (قيمة الرحمة وتطبيقاتها في الإسلام وأثرها في صلاح الفرد والأسرة والمجتمع) يوم الأربعاء ١٥ من جمادي الآخرة ١٤٤٠ هـ ٢٠ فبراير ٢٠١٩م، لفضيلة الدكتور/ أحمد علي سليمان عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، تقديم الأستاذ/ محمد جمعة.

(٤) مفعم: أي ممتلئ بشيء حتى يكاد يفيض به. وغالبًا ما تُستخدم مجازًا للدلالة على الامتلاء بالمشاعر أو الصفات الإيجابية، مثل: مفعم بالحب: أي ممتلئ بالحب.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه– حسن صحيح.

يقولُ النحويُّون: الراحمُ اسمُ فاعل يدلُّ على الثباتِ والدوام، ويزيدُ عليه علماءُ البلاغةِ فيقولون: هو صفةُ الموصوفِ نابتٌ عنه، فاستُغني عن ذكرِهِ بها.

ونخلصُ من هذا إلى أنَّ الراحمَ هو الذي من شأنِهِ الرحمةُ، لا تُفارقهُ ولا يُفارقها، هكذا ينبغي أن نفهمَ مدلولَ هذا الوصفِ، فلا يُقالُ لمن رحمَ مرَّةً إنَّهُ راحمٌ.

أما قولهُ: (يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ)، فإنَّهُ يُوحي بعظمةِ الرحمةِ الصادرةِ ممَّن اتَّسعت رحمتُهُ، فالرحمنُ: هو علم للذاتِ العليَّة، –تُرَدُّ إليه أكثرُ الأسماءِ الحسنى كالرحيم، والكريم، والرؤوف، والبر، والحليم، والفتاح، والباسط، والتواب... إلى آخر الأسماءِ التي فيها معنى الرحمة– ومعناه: صاحبُ الرحمةِ التي وسِعَتْ كلَّ شيء، وما دام هو كذلك، فإنَّ رحمتَهُ بالرُّحماءِ تكونُ عظيمةً موصولةً لا تنقطع، فهو يرحمُهم ما داموا متصفينَ بهذا الوصفِ.

والفعلُ المضارعُ (يَرْحَمُهُمُ) يدلُّ على التجددِ والحدوثِ والاستمرار.

والرسولُ (ﷺ) بليغٌ غاية البلاغة وهو الذي أوتي جوامع الكلم وهي خصوصيَّةٌ له، فضَّلَهُ اللهُ بها على جميع الأنبياءِ والمرسلين ، يُعبِّرُ عن المعاني بأسلوبٍ يشعُّ منه نورُ النبوَّة، فقد آثرَ التعبيرَ بهذا الاسم ليُشعرَ المؤمنَ من خلالِ ذكره بأنَّهُ أمامَ فيض لا ينقطع من الرحمةِ التي لا منتهى لأصولِها وفروعِها.

فلو قال مثلا: [الراحمون يرحمهم الله]، لكان صوابًا، ولكنه لا يُوحي بالمعنى الذي يريدُ رسولُ اللهِ أن يُعمِّقَهُ في نفوس المؤمنين.

ورسولُ اللهِ إنَّما يقتدي في ذلك بالقرآنِ الكريم، فينسبُ كلَّ صفةٍ لموصوفِها، وكلَّ فعل لفاعلِهِ، بحيث يظهرُ من ذكره بالوصفِ مدى تأثيره في الفعل، أو في المفعولِ به. فقولُكَ مثلًا: "يَرْحَمُنِي الرَّحْمَنُ" أبلغُ من قولِكَ: "يَرْحَمُنِي اللهُ"، وإنْ كان كلا القولينِ صحيحًا.

وقولهُ (ﷺ) بعد هذا التمهيدِ: (ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ) استجلابٌ لعواطفِ المؤمنين، واستدرارٌ لحنانهم على إخوانِهم؛ إذ هم رحماءُ فيما بينهم بمقتضى إيمانِهم، كما قال (تعالى) في وصفهم: (مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ..) (الفتح: ٢٩)، فهو تذكيرٌ بالرحمةِ لمن لا ينساها، مبالغةً في الحثِّ على المداومة عليها، والحرص على زيادتِها ونموّها حتى يبلغ فيها الرجلُ منهم حدَّ الإيثار.

وهذا الخطابَ النبويَّ الشريف ليس قاصرًا على المؤمنين فحسب، ولكنه خطابٌ عامٌّ ينتفعُ به المسلمون وغيرُ المسلمين ممَّن لهم دينٌ سماوي، فالرحمةُ أصلٌ من أصولِ الدين الذي ارتضاهُ اللهُ لعبادِهِ، وفطرهم عليه، واعتصم به المؤمنون.

فهو خطابٌ للمؤمنين بالأصالة، ولغيرهم بالتبعيَّة، ليعلم كلُّ من له دينٌ سماويٌّ أنَّ نبينا عليه الصلاة والسلام جاء متمِّمًا للرسالاتِ السماوية، ومؤيِّدًا لها، وتميَّزَتْ شريعتُهُ الغرَّاءُ بالسماحةِ، واليُسر، والرَّحمةِ، والعدالةِ المُطلقةوأنه رسولُ الرحمةِ والسَّلام.

ورحمةُ الله إذًا لا ينالُها إلا الرحماء، والمؤمنون هم الرحماء، قد **هذَّب الإيمان طباعَهم**، وزكَّى نفوسَهم، **وسما بأخلاقهم**، وهوَّن عليهم الدنيا، **ورغَّبهم في الآخرة**(٦).

من سكينة البيت إلى سكينة المجتمع

التراحم بين الزوجين.. البذرة الأولى لرحمة مستدامة تتوارثها الأجيال

وإذا كانت الرحمة في عمومها مطلوبةً بين الناس جميعًا، فهي بين الزوجين أوجب وألزم؛

– فهي سرُّ الاستقرار،

– وراحة القلب والبال،

(٦) د/ محمد بكر إسماعيل: وصايا الرسول وأثرها في تقويم الفرد وإصلاح المجتمع، جـ ١، ص ٢١١–٢١٩ بتصرف.

– وبها تُبنى البيوت على المودة لا على العناد، وعلى الحلم لا على الطيش، والجهل، والغضب، والعنف، والحدة، والتهور.

لغة الرحمة.. وتوارثها وتناقلها:

وإذا تراحم الزوجان، نشأ الأولاد في بيئة مفعمة بالسكينة والمحبة والحنان، وتشرَّبوا منذ نعومة أظفارهم لغة الرحمة، لا لغة العنف، وتربَّوا على اللين والرفق لا على القسوة والحدة.

ومن رَحِم هذا التراحم الأسري، تتكون شخصيات سوية، وقلوب نقية، وأرواح تنضح بالمودة والرحمة.

فلا يلبث أن يكبر هؤلاء الأولاد، فيحملوا هذا الخُلُق العظيم في قلوبهم وعقولهم، ويتنفسوه في بيوتهم حين يصبحون آباء وأمهات، فيتناقلوه كما تُتناقل الموروثات العريقة، وتتوارثه الأجيال كما تُورّث الأسماء والأملاك، بل أعظم.

وهكذا يُسهم التراحم بين الزوجين في تأسيس جيل رحيم، يتنفس الرحمة والرفق، وتفوح من طباعه رائحة اللين والحنان، يرحم الوالدين، ويرحم الناس، ويكون رحيمًا بالحيوان والنبات وحتى الجماد؛ فيسود المجتمعَ خُلُقُ الرحمة، وتصير البيوت مدارسَ تُخرّج القلوب الرحيمة والنفوس السوية والعقول المتزنة، وتغدو الرحمة حينها نسقًا حياتيًّا مشتركًا، تنتفع به الأسرة والمجتمع والعالم.

د/ أحمد على سليمان

لماذا تتعاظم قيمة التراحم بين الزوجين في عصر الذكاء الاصطناعي؟

الذكاء الاصطناعي أصبح واقعًا، وسيصبح في المستقبل شيئا لا يمكن الاستغناء عنه أو تفاديه أو تخطيه...

وعلى الرغم من أهميته في قطاعات متعددة وأعمال مختلفة، فإن الحقيقة التي يمكن أن نقررها باطمئنان:

- أنه لن يكون بديلا عن: العلاقات الإنسانية والاجتماعية، والمشاعر والأحاسيس، والأسرة، ومؤسسات التربية،... إلخ.
- ولن يحقق الدفء الإنساني، بل إن آثاره –إذا لم ننتبه لها ونسعى لتوجيهه لما نريد– فستُلقى بظلالها الخطيرة وتأثيره غير المرغوب على مؤسسة الأسرة والنشء والشباب أكثر مما يحدث الآن...

الخطير في الذكاء الاصطناعي أنه سيستحوذ على وظائف جديدة اجتماعية وأسرية، ومن ثم سيؤدي حتمًا تقليص مساحة التفاعلات البشرية وحصرها في مجالات محدودة للغاية.

ولا ريب في أن توغل الذكاء الاصطناعي في الحياة الإنسانية، يثير تساؤلات حول: ما حدود ما يتبقى للإنسان بعدما اضطلع الذكاء الاصطناعي بوظائف الإنسان وأدواره وواجباته؟.

مكمن الخطر:

ومكمن الخطر الظاهر في الذكاء الاصطناعي حاليا –وفقا لأقوال الخبراء– أنه سيسهم في:

- تقليص العلاقات الإنسانية داخل الأسرة إلى أدنى مستوى تفاعلي.
- حصر دور الأسرة في الرقابة الإلكترونية وتأمين النشء من خلال المتابعة وأجهزة الإنذار.
- غياب حقيقة في غاية الأهمية، وهي: أن العلاقات الإنسانية داخل الأسرة هي مساحة للتعليم والتهذيب الأخلاقي والسلوكي وتبادل المشاعر وإيجاد الطمأنينة والسكينة وغيرها من الاحتياجات الوجدانية التي لن يستطيع الذكاء الاصطناعي تفهمها أو النهوض بها(٧).

أساليب الحماية:

وفي ظل التحديات السابقة وغيرها كثير فإن عبء حماية النشء في أعناقنا جميعًا.

(٧) راجع: مصطفى عاشور: الأسرة والذكاء الاصطناعي (إسلام أون لاين) https://islamonline.net بتصرف.

لذلك نحمي النشء المسلم بترسيخ **المسؤولية** الفردية والجماعية في نفسه، وتعليمه **التفكير الناقد**، **والتحاور** معه بأسلوب حضاري يعلي قيمته كإنسان، وبتعليمه **احترام قيمة الكبار** ومكانتهم وأخذ **النصائح منهم**؛ لأنهم يمتلكون الخبرة الكافية، نحمي النشء **بالرحمة وإثراء العواطف والقضاء على جفاف المشاعر**، وتشجيعه على الاجتهاد في **عبادة الله** وطاعته، وذكره، وتدريبه علميًّا وعمليًّا على قيم **الرضا والقناعة** في عطاءات الله، وعلى **الصدق** والبعد عن الكذب **والصبر** الجميل **والصفح** الجميل **والعفو** الجميل **والإيثار والحنان والتسامح وحسن الخلق** ومكارم الأخلاق **والبر والتقوى وتحري الحلال**، **والشورى والحوار**، **والرضا والقناعة والزهد** في الدنيا، والزهد فيما لدى الناس.

نحميه **بالتشجيع والدعم النفسي والمزاورة** وتبادل **التهاني والهدايا**، والإبداع في أساليب التربية التي تتسق مع العصر ومع طبيعة كل مرحلة، **وبالقدوة** الصالحة، **وبشكر الله** فبالشكر تدوم النعم وبالقيم والأخلاق الإسلامية النبيلة.

الأسرة والإعلام الجديد: معارك الهُوية وسبل الصمود:

الأسرة هي أعرق مؤسسة في التاريخ الإنساني، فهي اللبنة الأساسية التي يتكوَّن منها المجتمع، ولا يمكن أن تقوم حضارة دون تماسك الأسرة. ولقد تطوّرت الأسرة عبر التاريخ، وتعرضت لتحديات وتغيرات، ولا تزال وستبقى تواجه تلك التحديات المتجددة على مر العصور.

لقد ظل الشرق والغرب يُبدون إعجابهم بالنموذج الفريد للأسرة المسلمة، ويغبطوننا على مؤسسة الأسرة المسلمة، من حيث مدخلاتها أي في طريقة بنائها، وفي عملياتها، وفي مخرجاتها من النشء الصالح، والعمل الصالح.

وفي زمنٍ تَشابَكت فيه الشاشاتُ مع الأرواح، وتداخلَ فيه العالَمان: الافتراضي مع الواقعي، وجدت الأسرةُ المسلمة نفسها في مواجهةٍ غير مسبوقة، مع تياراتٍ إعلاميةٍ لا تهدأ، ورسائل خفية وظاهرة تُعيد تشكيل الوعي والقيم والهوية وتنميط البشر وفق ثقافة الوافد العاتي.

لقد صار الإعلام الجديد ليس مجرّد وسيلة، بل قوةً تغييريةً جبّارة، تسهم في صناعة الأنماط السلوكية، وتوجيه العقول، بل وإعادة تعريف مفهوم الأسرة ذاته.

وفي خضم هذه التغيرات المتسارعة، تخوض مؤسسة الأسرة معارك يومية بل لحظية –قد لا تُرى– لكنها تُضعف البنيان وتنهك القوى إذا لم يُعزز، وتُهزّ القيم إذا لم تُحمَ، وتُفتت الروابط إذا لم تُرعَ.

إنها اختراقات ومعارك على الهُوية والثوابت والقيم والتقاليد والأعراف والأصول المرعية، وعلى المرجعية التربوية، وعلى اللغة والذوق والفِكر والعقيدة.

وبات الصمود في وجه هذه العواصف واجبًا حضاريًّا وتربويًّا وأخلاقيًّا، لا تتحقق معالمه إلا بتشخيص التحديات، ورسم سبل المواجهة، وبناء الوعي داخل البيوت، وتمكين الوالدَين من أداء دورهما في زمن السُّرعة والتشظي والانشغال.

ونسلّط الضوء هنا على أبرز تحديات الهُوية وتأثيرها على الأسرة المسلمة بفعل الإعلام الجديد، فعلى الرغم من الأهمية البالغة لشبكات التواصل الاجتماعي ووسائل الإعلام الجديد؛ فإنها قد خلَّفت سلبيات كثيرة ما كنا في حاجة إليها، ومنها:

- ضعف العلاقات الأسرية والعزلة النسبية لأفراد الأسرة.
- التأثير السلبي على الترابط الأسري والتباعد بين الزوجين.
- شيوع ثقافة الاستهلاك داخل الأسر.
- ضعف الهُوية الثقافية والارتباط بالهوية الغربية.
- انحسار العلاقات الاجتماعية وضعف مهارات التواصل مع الناس.

- التأثير على الحالة النفسية والشعور بالاضطراب والقلق عند الابتعاد عن الإنترنت.
- التعب الجسديّ أو الذهنيّ وفقدان القدرة على النوم الصحي.
- فقدان الاهتمام بالهوايات التي كان يمارسها الأشخاص لاسيما الرياضية.
- إهدار قيمة الوقت وانخفاض مستوى الأداء الدراسيّ والواجبات الاجتماعية.

وتواجه الأسرةُ المسلمة سيلا عارما من التحديات التي أتت وتواترت مع الوافد العاتي، عبر الفضاءات الإلكترونية، وعبر منظومة الإعلام الجديد، ووسائل التواصل الاجتماعي، وبأساليب متنوعة، حتى أمسى النشء والشباب، بل وجُل أفراد الأسرة لا يستطيعون الفكاك من وسائل الإعلام الجديد.. وقد نجم عن ذلك:

- أصيب كيان الأسرة المسلمة بنوع من التغيرات.
- وتبدلت القيم والتقاليد.
- وحلَّت علينا قيمٌ غريبة، ولهجاتٌ جديدة.
- وظهرت طرقٌ جديدة في أنماط الكلام والتعبير والحوار.
- أمسى للشباب له عالمه الخاص الذي ربما لا يستطع أحد الاطلاع عليه أو الولوج إليه، لقد بدل ليله نهارا، ونهاره ليلا، وتضيع قواه التي يجب أن تستثمر لصالحه ولصالح وطنه وأمته...

وأصبحنا في مسيس الحاجة إلى أن نتكاتفَ جميعًا، ونتوحدَ جميعًا، ونتحركَ جميعًا، وننهض جميعًا؛ لمواجهة هذا الخطر الخطير، وحتى نُطلِّقَ هذه القيم الغريبة طلاقا بائنًا لا رجعة فيه.

والآن وبعد أن تمكن الإعلام الجديد –بما يحمله من قيم غريبة– من الشباب، أمسى كيان الأسرة في وضع خطير، يحتاج إلى تدخل عاجل... يحتاج إلى علاجاتٍ جذريةً سريعةً ومكثفة...

الوضع يحتاج إلى تكاتف شتى عناصر المجتمع ومكوناته؛ لدراسة هذه القضية الخطيرة، فأفراد الأسرة لا يجتمعون وإذا اجتمعوا، اجتمعوا بأجسادهم وتاهت عقولهم وقلوبهم وأفدتهم وأبصارهم وبصائرهم في غياهب التيه والتفاهة.... وتاه فكرهم، وضاع وقتهم وجهدهم وأجمل سنوات عمرهم أمام شاشات الجوالات عبر وسائل التقاطع الاجتماعي وليس التواصل الاجتماعي...

تأثرت هويتهم وتبدلت قيمهم في دياجر الألعاب الإلكترونية الخبيثة التي تجرُّهم جرًّا إلى سواحل المجهول، وإلى بواتق الضياع... أمسى شبابنا في وضع خطير..! أمسى حيث لا هدف، انحرفت أهدافهم، وانجرفت قيمهم!.

وهكذا تواجه الأسرة المسلمة سيلا عارمًا من التحديات المتأتية عبر الإعلام الجديد وما تلاه من تطبيقات الذكاء الاصطناعي، وستتعاظم التحديات أكثر وأكثر في المستقبل القريب والبعيد، الأمر الذي يفرض على العالم الإسلامي مزيدًا من الجهود المنظمة؛ لتقوية المناعة الفكرية والحصانة السلوكية للأسرة المسلمة، حتى تستطيع أن تحافظ على هُويتها الإسلامية، مع التركيز على دور الوالدين، وهو حجر الزاوية، ولن يكون هذا الدور فاعلا ومؤثرًا إلا إذا ترابط الطرفان وتفاهما وتراحما على الدوام [٨].

***

النبيُّ زوجًا رحيما.. الجوانبُ العاطفيَّة مع زَوجاته:

جعل الله (عز وجل) الزواج سكَنًا ورحمةً، لا مجرد عقدٍ وشكلٍ اجتماعي، فقال سبحانه: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (الروم: ٢١).

(٨) راجع: محاضرة: كيف نحمي كيان الأسرة من التشظي والانهيار للدكتور أحمد علي سليمان، ألقيت يوم ١٦ أغسطس ٢٠٢٢م في الأسبوع الثقافي لوزارة الأوقاف المصرية بمسجد فاطمة الزهراء بمدينة نصر. – القاهرة.

تأملوا يا عباد الله! لم يقل: [وجعل بينكم قوةً أو سيطرةً أو مصلحةً]، بل قال: مودةً ورحمةً. فالمودة: المحبة، والرحمة: أن ترحم ضعف الآخر، وتغفر زلاته، وتعينه في عسره.

فالزواج علاقة تكامل، وبناء، لا صراع وخداع... إنه مؤسسة السكينة لا ساحة الصراع. يقول النبي (ﷺ): (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأهلِهِ وأنا خَيْرُكُمْ لأهلِي)(٩).

فمن أراد أن يكون من خيرة الناس، فلينظر كيف يُعامل زوجه.

لا تكن في الخارج حليما وفي البيت جحيما

لا تكن في العمل لطيفًا، ومع الزوجة غشيما.

يا أيها الأزواج، يا أيتها الزوجات: إن الزوجة إذا لم تجد رحمة وحنانًا، وإن الزوج إذا لم يجد رحمة وتقديرًا، ضاقت الحياة بما رحبت، وربما تحوّل البيت من جنةٍ إلى جحيم.

وهنا نرجع ونتأمل في حياة سيد الخلق، سيدنا محمد (ﷺ)، كيف كان مع زوجاته؟.

كان يُسامرهن، ويُمازحهن، ويستمع إليهن، بل ويسابق زوجته عائشة رضي الله عنها.

وكان يقول لها: (إنِّي لَأَعْلَمُ إذا كُنْتِ عَنِّي راضِيَةً، وإذا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى، قالَتْ: فَقُلْتُ: مِن أيْنَ تَعْرِفُ ذلكَ؟ فقالَ: أمَّا إذا كُنْتِ عَنِّي راضِيَةً، فإنَّكِ تَقُولِينَ: لا ورَبِّ مُحَمَّدٍ، وإذا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى، قُلْتِ: لا ورَبِّ إبْرَاهِيمَ، قالَتْ: قُلْتُ: أجَلْ ، واللَّهِ –يا رَسولَ اللَّهِ– ما أهْجُرُ إلَّا اسْمَكَ) (١٠).

هل رأيتم رقة أعظم من هذه؟

ومما يؤسف له وبفعل كثير من العوامل في مقدمتها التقنية أمسى كثير من بيوت المسلمين تشكو من القسوة، من الجفاف العاطفي، من غياب لغة الرحمة النبوية.

والغريب أن بعض الأزواج يظنون أن القسوة رجولة، وبعض الزوجات تظن أن العناد قوة.

والحقيقة أن الرجولة رحمة، والحكمة لين.

أيها المسلمون، التراحم لا يعني غياب الخلاف، فكل البيوت تختلف، ولكن التراحم يعني أن نختلف برقي، أن لا نجرح، أن لا نُهين، أن لا نكسر القلوب.

يا عباد الله، من يتراحم في بيته، يُبارك الله له في رزقه، ويُبارك له في عياله، ويُسعده في دنياه وأخراه.

واستحضروا قوله تعالى: (...وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا) (النساء: ١٩)، وقوله تعالى: (...وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ...) (البقرة: ٢٢٨). فكونوا رحماء، ولينوا في القول، وعاملوا أزواجكم بما تحبون أن تُعامَلوا به... واستحضروا سيرة سيدنا رسول الله على الدوام.

القدوة النبوية:

لقد استطاع النبيُّ الكريم بسموّ أخلاقِه أن يأسِرَ قلوبَ كلّ مَن تعاملَ معه، فكان على الرَّغم مِن التزاماتِه الكثيرة، ومَشاغِلِه الكبيرة، وعلى الرغم من أنَّه كان **مبلِّغًا للرسالة، وقائدًا للدولة، وقائدًا للجيش، ومعلِّمًا للنّاس**؛ فإنَّه كان حريصًا على الوفاءِ التامّ بحقوق زوجاتِه وأهل بيته.. فكان رحيمًا رفيقًا.. هيّنًا لينًا.. حَنونًا رحيمًا يعطفُ على أزواجِه.. ويهتمُّ بحقوقهنَّ، وكان يتجمَّل لهنَّ، ويحرصُ على استعمال السِّواك بصورةٍ دائمة.

ولمّا سُئلَتِ السيدة عائشة (رضي الله عنها) عن حالِ النبي (ﷺ) في بيته، أجابت: "كانَ في مِهْنَةِ أهْلِهِ، فَإذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ قَامَ إلى الصَّلَاةِ" (١١).

---

(٩) أخرجه الإمام الترمذي في سننه.

(١٠) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

(١١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

ولقد رسَّخَ النبيُّ (ﷺ) الشورى في بيتِ النبوَّة، وكان من ثمراتِها شورى السيدة أمّ سلمة (رضى الله عنها) التى نجَّتِ المسلمين من فتنةٍ كادت أن تحدُثَ في صُلح الحديبية.

ولقد كان النبيُّ (ﷺ) **مثالًا في تواضعه، ورحمته، وبره، وعطفه، ووفائه، وعدله** مع زوجاتِه وأهل بيته.

لقد توغَّلَ النبيُّ في فهم شخصية المرأة وفي أعماقِها الرقيقة.. يُناجيها بدفء العاطفة، ويُعينُها على العمل لدينِها ودنياها؛ فاستطاعتِ المرأةُ بتَوجيهاتِه الجليلةِ أن تُصلحَ ما بينها وبين ربها، فأصلحَ اللهُ أمرَ دينها ودنياها. وتؤكدُ السيدةُ عائشة (رضى الله عنها) هذه المعاني بقولها: "ما ضرَبَ رسولُ اللهِ (ﷺ) بيدِه شيئًا قطُّ إلَّا أنْ يُجاهِدَ في سبيلِ اللهِ، وما ضرَب امرأةً قطُّ ولا خادمًا له قطُّ"(١٢).. وكان (ﷺ) يوصي بالنساءِ خيرًا، فيقول: (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأهلِهِ وأنا خَيْرُكُمْ لأهلِي)(١٣). لقد كان النبيُّ زوجًا، وأخًا، وأبًا، وصديقًا لكلّ زوجاته، وكان يقابلُ إساءتهنَّ بالإحسان، ويحثُّ أتباعَه على الرّفق بهن، وورَدَ أنَّ النبيَّ (ﷺ) كان في سفَر، وكان غُلامٌ يَحدو(١٤) بهنَّ يُقالُ له أنجَشَةُ، فقال له النبيُّ (ﷺ): (رُوَيدَك يا أنجَشَةُ سوقَك بالقَوارير)(١٥)، والمعنى: رفقًا بالقوارير، فما أعظمَ هذا التَّعبير النَّبوي الراقي، وما أبلغَه! حيث شبَّه النساءَ في رقَّتِهنَّ وخِلقَتِهن بالزُّجاج الرَّقيق، في إشارةٍ منه إلى ضرورة مُعاملتِهنَّ بالرّفق واللين.

كان يَحنو على زوجاتِه أيَّما حُنُو، ويرحمهنَّ أيَّما رحمة، ويخفِّف آلامهنَّ وهُمومهنَّ وأتْعابهنَّ، ويُعلِّمهنَّ ويساعدهنَّ في شتَّى الأعمال.. ولم يدَّخرْ وسْعًا في ذلك. والنبيُّ (ﷺ) على جَلالةِ قَدْره، وعلوّ مَنزلتِه عند ربِّه (سبحانه وتعالى)، كان (عليه الصلاةُ والسلام):

- **يخصِفُ نعلَه،**
- **ويرقِّع ثوبه،**
- **ويحلب شاتَه،**
- **ويساعد زوجاته،**
- **ويعمل في شؤون بيته.**

وكان دائمًا ما يدْعو إلى الفَهم الصَّحيح لطبيعةِ النِّساء، وكان يقول: (إنَّ النساءَ شقائقُ الرجالِ)(١٦) ومن ثمَّ لا تصحُّ الحياةُ أبدًا بشقّ دونَ آخر..

فالذي يُكرم النساءَ بأيّ صورةٍ من صور الكرم؛ كريمًا، وكانت حياتُه سَهلةً ويَسيرة وبَعيدةً كلَّ البُعد عن التعقيد والجمود.

لقد كانت حياتُه (ﷺ) مع زوجاتِه أمهاتِ المؤمنين (رضى الله عنهن) وأهل بيته أنموذجًا مُتكاملًا يَجمع بين الجلال، والوَقار، واللّين، والدَّلال، والمداعبة، والملاطفةِ، ومِن ذلك نداءُ الزَّوجة بأحبّ الأسماء إليها، أو تَصغير اسمِها للتَّلميح والتَّليين والرّفق، فعلى سبيلِ المثال كان يقولُ لعائشة (رضى الله عنها): (يا عائشُ، هذا جبريلُ يُقرئكِ السَّلامَ. فقلتُ: وعليهِ السَّلامُ ورحمةُ اللَّهِ وبركاتُهُ) (١٧).

وهكذا فإنَّ المدققَ في حياة النبي العظيم، في بيتِه، ومع زوجاته، وفي كل حياته؛ يجد أنَّ هناك معاني كثيرةً نحن بأمسِّ الحاجةِ إليها في واقعِنا المعاصر، ولو استَلهمنا مَعانيها وطبَّقناها؛ لأسهمَتْ في استقرار حياتِنا وبيوتنا،

---

(١٢) أخرجه الإمام ابن حبان في سننه.

(١٣) أخرجه الإمام الترمذي في سننه.

(١٤) يحدو: أي يسوق الإبل وهو يغني لها ليحثها على السير.

(١٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

(١٦) أخرجه الإمام الترمذي في سننه.

(١٧) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

ولعَالجتْ قضايا كثيرة جدًّا، ومن بينِها قضايا: (الطلاق، والعُنوسة، والعنف الأسَري، والخيانات الزوجية، وضَعف التربية، والانفلات الأخلاقي... وغيرها كثير).

ونؤكِّد دومًا على أهمية الاقتداءِ بسيدنا النبي (ﷺ)؛ ذلك لأنَّ التربيةَ على حُبِّه من أهمّ أسس التَّربية التي لها دورٌ كبيرٌ في تكوين الشَّخصيَّة الإيمانيَّة الصحيحة، التي **تَنثر** الخير، **وتَبذره** في كلّ مكان؛ **ليظْهَر، ويزْهر، ويُثمر، ويؤتي حصاده**[١٨] بإذن الله، ومن ثمَّ يتحقَّق فينا قولُ الحقّ سبحانه وتعالى: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاس تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَن الْمُنكَر وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ..) (آل عمران: ١١٠).

أثر الكلمة الطيبة الرحيمة في نجاح الحياة الزوجية:

الكلمات الدقيقة الرقيقة الرفيقة الرحيمة، التي يُطلقها الجَنان من خلال البَنان أو اللسان، تشرح الصدور المتعبة، وتؤلفُ القلوبَ المرهقة، وترممُ الأرواح المنكسرة، وتجبرُ الخواطر المنهكة، وتبعثُ الأمل في النفوس، وتقرب المسافات البعيدة بين الزوجين، وترسمُ بسمات الفرح على قسمات الوجوه، وعلى سهول القلوب، وعروش العقول، وتنشرُ الجمال بينهما.

بل إنها من أهم المعينات الأساسية على انتظام الحياة الزوجية.

أما الكلمة الخشنة العنيفة فهي كالقذائف المدوية المدمرة؛ التي تدمر ولا تعمر.. تهدم ولا تبني.

ولقد شاء الله الحكيم ألا تسير الحياة الزوجية على نمط ثابت، أو على وتيرة واحدة أو نحو رتيب، بل أرادها متغيرة متبدلة متحولة، ففيها المفرحات والمنغصات، الخير والشر، الغنى والفقر، الصحة والمرض، العطاء والحرمان، فيها الطاعة والمعصية، القوة والضعف..

لذلك فلابد للحياة الزوجية من أن تقوم على أركان أساسية، حتى تستقيم الحياة، ولعل من أهمها: الرفق واللين والرحمة، والاحترام المتبادل، والحنان المتبادل، والرفق المتبادل، والصدق المتبادل، والإيثار المتبادل، والتضحية المتبادلة، وبشاشة القلوب قبل الوجوه المتبادلة، والكلمات الطيبة المتبادلة بين الزوجين، والتي تعد الحارس الأمين على بوابات الحياة الزوجية.

ولكي نضمن النجاح للحياة الزوجية في خضم مشكلات الحياة ومكدراتها وتحدياتها فإنني أقدم روشتة لحياة زوجية سعيدة، وذلك يتوجب على الزوجين ما يلي:

-الاقتداء بسد الخلق سيدنا محمد (ﷺ) فقد كان مثالا في كل خير كما أشرنا مفصلا في السطور الماضية..

-أن يكون المسلم هاشًّا باشًّا بسَّامًا بشوش الوجه قدوة حسنة، مهندمًا، نظيفًا، جميلا على الدوام، ينتقى الكلمات الطيبة المريحة للقلب والنفس عند الحديث مع زوجه وأولاده ومع الآخرين.

-كظم الغيظ، ومجاهَدةَ النَّفس وضبطها والبعد عن الغضب وضبط اللسان وإلجامه عن الخطأ، فلا تظُنُّوا أنَّ الرَّجل القويَّ هو من يَتمتَّعُ بقوة بَدنية يَستطيعُ بها أنْ يَصرَعَ الآخَرين، ولكنه القويُّ في إرادتِه، المتحكم في نفْسِه عندَ الغَضب، الحليم الكاظم غَيْظَه، المانع نفْسَه عن إيذاءِ النَّاس بيده أو لسانه.

- البعد عن الشخصيات المكتئبة المنفرة باعثة اليأس والإحباط في النفوس والقلوب الباحثة عنه في كل مكان.

- إسكان الكلمات الطيبة وكلمات البهجة في العقول، والقلوب؛ لتكون من الكلمات الدارجة، والمسموعة في البيوت على الدوام ، والمسكونة في المحصول اللغوي للزوجين على الدوام.

- تدريب العقل الزوجي والأسري؛ للتركيز على كل ما هو جيد في البيت وفي الحياة، وما ستجده حولك أن الأشياء الجيدة تحدث أكثر من الأشياء السيئة بكثير، ولكن الأمور السيئة تميل نحو حجب الأمور الجيدة!!؛ فالعلاج إذًا في مسألة موضع التركيز، وهذا ما يجب أن نعمل عليه؛ للتركيز، والتدريب على: النظر إلى الإيجابيات،

(١٨) راجع: كتابنا: كيف نتوضأ بأخلاق النبوة؟، الطبعة الاولى، ص ٨٤-٨٥ بتصرف.

والبهجة، والتفاؤل والتعبير عنها بكلمات بانيات، مع حجب العقل عن التركيز في الأمور السلبية، عندئذ ستنجح الحياة.

فاللهم أسكن الخير والسكينة والرحمة في قلوبنا وفي بيوتنا وفي مجتمعنا وفي حياتنا..

رسالة نبوية عاجلة إلى الأزواج... وأيضا إلى الزوجات:

عن أبي هريرة (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): (لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً –يعنى: لا يُبغضها– إِنْ كَرِهَ منها خُلُقًا رَضِيَ منها آخَرَ)، أَوْ قالَ: غَيْرَهُ [١٩] . وقال رسول الله ﷺ: (أَكمَلُ المُؤمِنينَ إيمانًا أحسَنُهم خُلُقًا، وخِيارُكم خِيارُكم لِنسائِكم) [٢٠] .

إن الزوجية لا تؤدي غايتها، ولا تحقق الأغراض السامية المقصودة منها، إلا إذا ترابط الزوجان وتفاهما، واحترم كلٌّ منهما حقوق صاحبه، وقام بواجبه نحوه في صدقٍ وبرّ وإخلاص؛ ولم يُشْرَع اللهُ الزوجيةَ لتكون شركةً جافةً لا همَّ لأصحابها إلا أن يحقق كل واحد منهم مصلحته الخاصة، ولو على حساب الآخرين.

لذلك يتجه رسول الله (ﷺ) بالنصيحة والإرشاد إلى الأزواج والزوجات جميعًا، ويضع لهم الدستور الذي على أساسه تُبنى البيوت، وتَسعد الأُسَر، ويصلح النسل، وتَقوى الأمة.

وهذان حديثان كريمان يُنَبِّه رسول الله (ﷺ) فيهما الأزواج إلى أمرين هما سرُّ السعادة الزوجية، وهما أهمُّ ما يُطلب من الرجل.

يقول لهم: لا توجد امرأة إلا:

١. ولها بعض المزايا،

٢. وفيها بعض العيوب،

وإن من التمس امرأة كاملة في جميع النواحي، فقد التمس محالًا: وهب الله هذه حظًّا من الجمال وإن كان في خُلقها شيء، ووهب هذه حظًّا من الخُلق وإن كان في جمالها شيء، وفاوت بين هذه الحظوظ والأقسام كما قضت بذلك مشيئته: (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ۚ..) (القصص: ٦٨).

هذه حقيقة من عرفها استراح وأراح، وأمكنه أن يَغُضَّ عن العيوب المحتملة بجانب المزايا، وأن يغفر بعض نواحي الضعف لما يُجبرها من نواحي القوة، وهذا هو معنى قوله: (إِنْ كَرِهَ منها خُلُقًا رَضِيَ منها آخَرَ)، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: (...وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا) (النساء: ١٩) .

ينسى بعض الأزواج هذه الحقيقة الواقعة، فيُركّز اهتمامه بناحية الضعف في زوجته، متناسيًا كل المحاسن، فيَشْقيه ذلك ويُشقيها.

ويظل من ناحية يُجسِّم هذا العيب، ويتتبع مظاهره، ويتألم له؛ حتى يُنغّص على نفسه حياته، ويغرس في قلبه كراهية زوجته، ويظهر ذلك في تصرفاته معها قصدًا أو عفوًا، فتتألم هى أيضًا من ناحيتها، وتبادله كُرهًا بكُره، وإيلامًا بإيلام!.

وحينئذ يدب دبيب الخلاف، وتسري عوامل الشقاء، فإما اعتلال بعد ذلك، وإما انحلال.

ويُعلم الرسول الكريم (ﷺ) الأزواج أيضًا: أن الخلق الكريم في معاملة الناس عامة هو علامة الإيمان الكامل؛ لأنه دليل على الصفاء النفسى، والتماس الإحسان من الله بالإحسان في معاملة خلقه.

وإذا كان هذا هو شأن الخلق الكريم في الصلات العامة بين الناس بعضهم وبعض، فأولى للزوج –ثم أولى– أن يتمسك به في أهم صلة وأقوى صُحبة، وهي صلة الزوجية.

---

(١٩) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

(٢٠) أخرجه أبو داود مختصراً، والترمذي، وأحمد واللفظ لهما – صحيح.

يقول تعالى: (...وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (البقرة: ٢٣٧).

وقد كان رسول الله (ﷺ) أكرم الناس مع أهله، وأرفقهم بزوجاته، ما رُئِيَ متجهّمًا في وجه إحداهن، ولا غاضبًا غضبًا يُخرجه عن سكونه ورحمته، ولا سبَّابًا، ولا فاحشًا، ولا مُحتقرًا لطعام، ولا مُؤثرًا به نفسه، ولكن ما رضي عنه أكله، وما كرهه تلطّف في رده، وما غاب لم يُسأل عنه.

أيها الأزواج:

هذه هي أقوال نبيكم، وهذه هي أفعاله، (لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) (الأحزاب: ٢١).

فاستوصوا بالنساء خيرًا، لا تَستكبروا عليهن، ولا تَصخبوا في وجوههن، ولا تَبخلوا، ولا تَستأثروا، ولا تُعنِّفوا في الصغير والكبير، ولا تُحاسبوا على الفتيل والنقير.

ارحموا النساء، فلا تُكلِّفوهن فوق طاقتهن، ولا تأمروهن بما ليس في استطاعتهن، ولا تتهموهن بما ليس فيهن، ولا تُهمِلوا شأنهن وشأن أولادهن، ولا تتحكموا فيهن لمجرد الرغبة في إظهار السلطة وتنفيذ الكلمة.

إن النساء أمانات في أيديكم، وإن الله قد استرعاكم هذه الأمانات، فصونوها، وأحسنوا رعايتها، يحسن الله إليكم [٢١].

يقول أستاذنا د/ محمد بكر إسماعيل رحمه الله: المؤمنُ الحقُّ هو الذي يرضى بما قسم الله له، ويحمده على وافر نعمه. فإن رأى ما يسوؤه صبر واحتسب أجره على الله (عز وجل).

وإذا كمل إيمانه رأى في المحن مِنَحًا، فحمد الله (تعالى) في الضراء والسراء، وفي الشدة والرخاء؛ لعلمه أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يُسرًا. **وما يقال للرجال يقال مثله للنساء.**

قصة جميلة:

ومن أحسن ما ذُكر أن رجلًا صالحًا تزوج امرأة صالحة، وكان رجلًا دميم الوجه تبغضه النساء، وكانت هي من أجمل نساء العرب.

فنظرت إليه يومًا في صفاء، فتبسّمت، فسألها عن سر تبسُّمها، فقالت: "أنا وأنت من أهل الجنة إن شاء الله".

فقال: "ومن أين عرفتِ ذلك؟"

فقالت: "تزوجتُك فصبرتُ، وتزوجتَني فشكرتَ، والجنة للصابرين الشاكرين".

فانظر إلى ملاحتها، وفكاهتها، وطيب حديثها، وفهمها لقواعد الدين، مع جمال الخَلْق والخُلُق؛ فهي تداعبه ولا تُعيّره، وتُلاطفه في خفّة وظرف.

والعاقل من يضع لنفسه مقاييسَ يعرف بها الحسن من القبيح، والطيب من الخبيث، ويُميز بها الخير من الشر، ويحكم على الأشياء بحكم صحيح، فلا يقطع بأمر إلا إذا عرف وجه الخير فيه.

فالزوج – مثلًا – قد يرى من زوجته عيبًا في خَلْقها أو في خُلُقها، فلا ينبغي أن يفركها – أي يبغضها – فإنه إن كره منها خُلُقًا رضي منها آخر.

فقدر –مثلًا– أنها غَيُورة أكثر مما يجب، أو كذا أو كذا؛ فإن هذا كله مما تُعاب به، ولكنها عفيفة، أمينة على مال زوجها، صادقة في أقوالها وأفعالها، ودودة لأهل زوجها، محبة لجيرانها، إلى غير ذلك مما يُحسب لها.

(٢١) راجع: أحاديث الصباح في المذياع لفضيلة الشيخ محمود شلتوت، وفضيلة الشيخ محمد المدني، القاهرة: مجمع البحوث الإسلامية، هدية مجلة الأزهر، رجب ١٤٤٦هـ، ص ١١٤-١١٧

فعلى الرجل أن يضع هذا وذاك في الميزان، فإنه سيجد ما تُعاب به أمرًا هيّنًا لا يستوجب بُغضه لها.

ولو نظر إلى ما في غيرها من العيوب، لهانت عليه عيوبها.

وما يُقال للرجل يُقال للمرأة أيضًا، فالخطاب له ولها، إلا أن النبي (ﷺ) وجّه الخطابَ للرجل؛ لأن العصمة بيده، ليستدرّ عطفه ورحمته وإحسانه إليها، لأنه القوّام عليها، وفي إمكانه أن يتزوج غيرها ليجد عندها ما يفتقده فيها، فكان خطابه له من باب استدرار عطفه عليها، ورحمته بها، واستجلاب إحسانه إليها.

والمقصود بالمخاطب في هذا الحديث هو المؤمن، لأنه هو الذي ينتفع بالذِّكرى، وتؤثر فيه الموعظة، وهو الذي يستجيب لله ولرسوله فيما فيه سعادته في الدنيا والآخرة.

ولذا لم يقل النبي (ﷺ): [لا يَفْرُكُ رجلٌ امرأةً]، بل قال: (لا يَفْرُكْ مؤمنٌ مؤمنةً). والخطاب هنا موجه للمؤمن تحديدًا.

ولاحظ أيضًا أن النبي (ﷺ) قد اهتم في هذه الوصية بالجانب الخُلُقي أكثر من الجانب الخَلْقي، فقال: (إنْ كَرِهَ منها خُلُقًا رَضِيَ منها آخَرَ)؛ لأن الجانب الخُلُقي أهم بكثير من الجانب الخَلْقي.

ويكفينا:

١. أن صبر الرجل على امرأته، وصبرها عليه، من أعظم أنواع الصبر،

٢. وأن الرضا بينهما من أعظم أنواع الرضا،

٣. وأن التراحم بينهما من أعظم أنواع التراحم.

وبهذه الأمور جميعًا تدوم العِشرة، ويُحفظ الود، وتزداد الأُلفة، ويصلح شأن الأسرة، وبصلاحها يصلح المجتمع كلّه (٢٢).

أيها الأخوة المؤمنون: أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن سيدنا محمدًا (ﷺ) رسولُ الله عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله..يقول الحق (تبارك وتَعَالَى): (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢) أما بعد..

حديثنا هنا عن قضية اجتماعية وأسرية خطيرة، تمسّ حاضر الأمة ومستقبلها، قضية تُقلق الآباء والأمهات، وتشغل الشباب والفتيات، وتؤثر على الدين، والأخلاق، والمجتمع، إنها قضية الزواج.

ونتناولها من ثلاث زوايا محورية:

لماذا قلّ الزواج؟ ولماذا يفشل؟ وكيف تستقر البيوت؟

أولًا: لماذا قلّ الزواج في زماننا؟

١. الغلاء وارتفاع التكاليف:

٢. الخوف من المسؤولية:

٣. تراجع التربية الأسرية على قيمة الزواج:

٤. البدائل الرقمية والعلاقات الوهمية:

(٢٢) وصايا الرسول للدكتور محمد بكر إسماعيل، ج ٢، ص ٤١٣ – ٤١٦.

الت

٥. الصورة السلبية المنتشرة عن الزواج:

ثانياً: لماذا يفشل الزواج؟

١. قلة الصبر وسرعة الغضب:

٢. ضعف التواصل والحوار:

٣. تغليب المصلحة الذاتية على التراحم:

٤. التدخل الخارجي المفسد:

٥. سوء الاختيار منذ البداية:

٦. الإعلام والدراما السلبية:

كيف تستقر البيوت؟

١. التراحم الحقيقي:

قال تعالى: (...وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ ...) (الروم: ٢١).

٢. الحوار الصادق:

٣. القناعة والرضا:

٤. تبادل العطاء وتحمل المسؤولية:

٥. التغافل عن الزلات:

٦. إحياء الذكر والعبادة في البيت:

٧. منع التدخل في شؤون البيت:

٨. الاستمرار في طلب العلم الأسري والتربوي:

٩. الاعتراف بالخطأ والاعتذار:

١٠. الدعاء واللجوء إلى الله:

٧. بترك المقارنات والتدخل في حياة الآخرين

وأخيرا: ما العلاج العام؟

- الرجوع إلى منهج القرآن والسنة

- تبسيط الزواج وتيسيره
- الإعداد النفسى والعلمى للزواج
- الفصل بين الأسرة الجديدة والتدخل الخارجى
- الاستمرار في التعلم بعد الزواج

قلّ الزواج لأننا صعّبناه، وفشل لأننا فرّغناه من معناه.
والعلاج: أن نعيده إلى أصله، كما أراده الله: سكن ورحمة وعبادة.
أيها المسلمون،
الزواج نعمة، والأسرة أمانة، والتراحم فريضة، ولا سعادة إلا في بيت تُبنى أركانه على الدين، والعقل، والحب، والتفاهم.
فـ"فَتَرَاحَمُوا"... تُفلِحوا وتَسْعدوا.

النقطة الأخيرة: رباعية النجاح الحقيقي
عندما يستقيم الوالدان

ليس في الحياة نجاح جزئي؛ فلا يُعدّ النجاح نجاحًا إلا إذا كان شاملًا. فقد يحقق الإنسان نجاحًا رائعًا في عمله، لكنه ليس زوجًا ناجحًا، أو يكون زوجًا ناجحًا إلى أعلى درجة، لكنه في عمله ليس ناجحًا. وقد ينجح في بيته وعمله، لكن علاقته مع ربه ضعيفة، أو ينجح في هذه الجوانب كلها، بينما يهمل صحته. فالنجاح الحقيقي لا يُعدّ كذلك إلا إذا شمل: علاقتك بربك، وعلاقتك بزوجتك وأولادك، وأهلك، وعملك، وصحتك. وأيّ خلل في واحدة من هذه الجوانب ينسحب على الثلاثة الأخرى. إنها حقيقة صارخة.

قد تكون علاقتك بالله غير طيبة، فيتحوّل البيت إلى مصدر نكد، وهذا من عقاب الله. فإذا بك في عملك غير طبيعي، وتعود إلى بيتك مثقلًا، وتشعر بخفقان غير معتاد في قلبك، فتذهب إلى طبيب القلب. ذلك لأن العلاقة غير السليمة مع الله تنعكس على بيتك، ثم على عملك، ثم على صحتك.

قد يكون الإنسان رائعًا في سلوكه، لكنه لا يعرف شيئًا عن الصحة، يأكل ما يشاء بلا تنظيم أو تقنين، يهمل صحته، فتُصبح صلاته ثقيلة عليه، ويُصلي بتكاسل. وحين أهمل صحته، انعكست مشكلته على علاقته مع الله، ثم على بيته، فنتجت مشكلات كبيرة.

أولًا: النجاح في علاقتك مع ربك

العبادة:

النجاح هو أن تؤدي ما عليك من واجب تجاه الله تعالى، فإن لله عبادة في النهار لا يقبلها في الليل، وله عبادة في الليل لا يقبلها في النهار. صلّ في المسجد، اقرأ القرآن، اذكر الله، تجد يومك قطعة من السعادة، والتوفيق، والسداد، والبصيرة، والقرار السليم، واليسر في كل أمورك.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من صلّى الغداة – أي الفجر – كان في ذمة الله حتى يمسى».

العقيدة:

ابدأ علاقتك بالله على أساس سليم، فقد يغفل الإنسان، أو يُبتلى بشبهة في الدين تُربكه. لا تُهمل الشبهات، وابحث عن حلها، فتصحيح العقيدة أول خطوة نحو الاستقامة.

الشهوات:

ما من شهوة أودعها الله في الإنسان إلا وجعل لها قناة نظيفة تسري خلالها. الإسلام لا يقوم على الحرمان، بل على التهذيب والتنظيم.

تجنب الكبائر والإصرار على الصغائر:

نعم، أنت لا تقتل ولا تزني، ولا تشرب الخمر. هذه الكبائر ليست واردة في حياتك. لكن مشكلتنا في الإصرار على الصغائر. فالصغيرة، إن أصررت عليها، قد تنقلب إلى كبيرة.

تصوّر أنك تقود سيارتك على طريق عرضه ٦٠ مترًا، وعلى جانبيه وديان سحيقة، الكبيرة هي أن تُحوّل المقود فجأة ٩٠ درجة، فتسقط فورًا، أما الصغيرة فهي انحراف سنتيمتر واحد، لكنه إن استمر، أو ثبت، فهو هلاكٌ أيضًا.

«لا صغيرة مع الإصرار».

الاستقامة:

إذا أردتَ الاستقامة فهي ممكنة. كل سيئة لها عقاب. قد تعصى الله وتنتظر العقوبة، لكنها لا تأتي في بيتك ولا في صحتك ولا في مالك، فتظن أنك ناج. ثم تناجي ربك: "يا رب، لقد عصيتك، فلم تعاقبني!"

فيقع في قلبك الجواب: "يا عبدي، قد عاقبتك ولم تدر؛ ألم أحرمك لذّة مناجاتي؟ أليس ذلك كافيًا؟"

ثانيًا: النجاح في علاقتك بزوجتك

علاقتك مع زوجتك أحد أركان نجاحك في الحياة. كن منطقيًا، وعامل الناس كما تحب أن يعاملوك.
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والكلمة الطيبة صدقة».
ليست المشكلة في مساحة البيت، ولا في نوع الطعام، ولا في جودة الملبس، فكل ذلك ثانوي. المشكلة في غياب الحب. اجعل في البيت حبًا، وُدًّا، رحمة. هناك فرق بين أن تعيش مع زوجتك "تحت سقف واحد" وأن تعيش معها "تحت قلب واحد".
ثالثًا: النجاح في عملك
لك كرامتك كمؤمن. تأخرّت عن عملك، فوبّخك المدير وأهانك. شعرت بالإهانة، فضاقت نفسك، فلم تُصلّ الظهر براحة. رجعت إلى البيت منقبضًا. لذلك، نجاحك في العمل يؤثر على نفسك، وراحتك النفسية تنعكس على عبادتك وعلاقتك بربك.

انتبه إلى وقتك، التزم بمواعيدك، أدّ ما عليك من واجبات. إذا كان لك مكانة في عملك، فأنت مرتاح، وإذا كان لك مكانة في بيتك، فأنت مرتاح، وإذا كان لك مكانة عند الله، فأنت أسعد الناس.
رابعًا: النجاح في صحتك
أن تأكل كثيرًا ولا تمارس الرياضة، فهذا غير معقول.
يقول العلماء: عُشر ما نأكله يكفينا لنعيش، وتسعة أعشار ما نأكله تُبقى الأطباء أحياء!
وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما ملأ آدمي وعاءً شرًّا من بطنه».
وقال السلف: «البِطنة تُذهِبُ الفِطنة»، فراقب طعامك وشرابك، وصحتك جزء من دينك.

وهكذا فالنجاح لا يُعدّ نجاحًا حقيقيًا إلا إذا كان شاملًا:
١. علاقتك بالله.
٢. علاقتك بزوجتك وأولادك.
٣. علاقتك بعملك.
٤. علاقتك بصحتك.
فإن اختلّ جانب، انعكس أثره على الجوانب الأخرى. فكن رجلًا ناجحًا في كل ذلك، لتكون مستقيمًا كما يحب الله، وكما تحتاج الحياة

***

اللهم أصلح بيوتنا، وبارك في أزواجنا، وارزق شبابنا الزواج الحلال، واحفظ بناتنا من التأخر والعنوسة، واهدِ كل زوجين إلى التراحم والمودة والسكن.
اللهم اجعل بيوتنا بيوت سكينة ورحمة، واجعلنا من المتراحمين، وبارك في أزواجنا وأبنائنا.
اللهم أصلح ذات بين الأزواج، وألِّف بين قلوبهم، وانزع من بيوتنا الشحناء والبغضاء.
اللهم من كانت له مشكلة في بيته، ففرّجها برحمتك، وأزلها بحكمتك، وأبدلها طمأنينة وأمانًا.
اللَّهُمَّ أَنْزِلِ السَّكِينَةَ عَلَى مِصْرَ وَأَهْلِهَا
وَافْتَحْ لَنَا البَرَكَاتِ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْض
وَبَارِكْ فِي مِصْرَ وَرِجَالِهَا وشَعْبِهَا وَجَيْشِهَا
اللهم احفظ مصر شرقها وغربها، شمالها وجنوبها، طولها وعرضها وعمقها، بحارها وسماءها ونيلها، ووفق يا ربنا قيادتها وجيشها وأمنها وأزهرها الشريف، وعلماءها، واحفظ شعبها، وبلاد المحبين يا رب العالمين، اللهم اشف

مرضانا وارحم موتانا اللهم طهّر قلوبنا من الكبر، وزيّنها بالتواضع،اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وصلِّ اللهم وسلِّم وبارِك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..وأقم الصلاة.

خادم الدعوة والدعاة د/ أحمد علي سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

والحاصل على المركز الأول على مستوى الجمهورية في خدمة الفقه والدعوة (وقف الفنجري ٢٠٢٢م)

المدير التنفيذي السابق لرابطة الجامعات الإسلامية- عضو نقابة اتحاد كُتَّاب مصر

واتس آب: ٠١١٢٢٢٢٥١١٥ بريد إلكتروني: drsoliman٥٥٥٥٥@gmail.com

يُرجي من السادة الأئمة والدعاة متابعة الصفحة الرسمية، وعنوانها:

(الدكتور أحمد علي سليمان)؛ لمتابعة كل جديد https://www.facebook.com/drahmedalisoliman/